AKADEMİK-US

Artvin Çoruh Üniversitesi
İlahiyat Araştırmaları Dergisi
Yıl: 2017, Cilt:1, Sayı:1
Sayfa:87-94

Artvin Coruh University
Journal of Teological Researches
Year: 2017, Vol:1, Issue:1
Pages:87-94
akademikus.artvin.edu.tr

جامعة أرتوين جوروه
مجلة بحوث الإلهيات
السنة: ٢٠١٧، الجلد: ١، العدد: ١
الصفحة: 87-94

Batumlu Şeyhülislam Mirza Mustafa Efendi'nin Tefsir Haşiyesi'nde Arap Diline Ait Konular

The Arabic Language Topics in The Annatation of Sheikh Mirza Moustafa Batumi

المسائل الغوية في الفوائد المكية لشيخ الاسلام ميرزا مصطفى الباطومي على حاشية العصام الإسفراييني

خالد حمدو

Artvin Çoruh Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Artvin, Türkiye

Eser Bilgisi / ***Article Info***
التعريف بالدراسة
Araştırma notu / *Research article* / الملاحظة البحثية

Sorumlu yazar / *Corresponding author* / الكاتب المسؤل
Halid Hamedou

Elektronik erişim / *Online available* /
النشر الإلكتروني
21.06.2017

Anahtar kelimeler:
Mirza Mustafa
Tefsir
Nebe Suresi
Nahiv

Keywords:
Mirza Mustafa
at-Tafsir
Sura Naba
Nahv

الكلمات المفتاحية
ميرزا مصطفى
تفسير
سورة النبأ
النحو

Özet

Osmanlı devleti zamanında ilmî hareketler, Arap dili ve onunla ilgili ilimlerden uzak değildi. Arap diline gösterilen önemin temel saiki, Kur'an-ı Kerim ve İslam Şeriatı'nın öğrenimine karşı duyulan şiddetli arzudur. Bu dönemde Osmanlı âlimlerinin kaleme aldığı eserler, onların Arap diline dair derin vukûfiyetlerine işaret etmektedir. Şeyhülislam Batumlu Mirza Mustafa Efendi'nin elimizdeki Haşiye'si de mezkûr âlimlerinin edebî ve dilsel kültürlerinin derinliğiyle onların Arap Dili ilimlerindeki otoritelerini göstermektedir. Neticede, bu dönemde yaşamış âlimler, tüm gayretlerini –muhakkik âlimlerin, her ilimde benimsenmesi mümkün olan metodlarını takip ederek- Kur'an'ı Kerim'in üslûbunun ortaya konulmasına ve ayetlerdeki dilsel yapının açıklanmasına sarf etmişlerdir.

Abstract

The Scientific movements in the time of Ottoman Caliphate was not far from Arabic Language and its' sciences. The main reason of this issue is severe desire of teaching and learning the Holy Quran and Islamic Law.
There are a lot of Scholars who dominant on Arabic Language and its' Sciences in this period for the important duties in the Caliphate. For example, the annotation belongs to Mirza Mustafa Efendi from Batumi shows the intellectual degree of that times' Scholar in the literary and culture and domination of Arabic Language Topics.
In conclusion, the Scholars who lived in this era, focused all their attention and the efforts to on to explain the orbit of the Qur'anic Text and its' meanings of the verses' structure in terms of language.

الملخّص

لم تكنْ الحركة العلميَّة في عهْد الخلافة العثمانيَّة بعيدةً عن اللغة العربيَّة وعلومِها كما أُشيْعَ في بعض الفتَرات؛ بلْ كان الاهتمامُ باللغةِ العربيَّة مُنْطَلِقاً من الحرْصِ الشديدِ على تعُلمِ القرآنِ والشريعةِ الإسلامية، ولمْ تكنِ المَناصِبُ الرفيعةُ مُقْفِرَةً من علماءِ العربية، بلْ كان فيها مَنْ تَشْهَدُ له آثارُهُ ومُؤَلَّفاتُهُ بِعُمْقِ إحاطَتِهِ وبُعْدِ درايَتِهِ اللغويَّة، وحاشيةُ شيخِ الإسلام مصطفى ميرزا التي بين أيدينا تُبَيِّنُ نَمَطَ علماءِ ذلك العصرِ وعُمْقَ ثقافتهِم اللغويَّة والأدبيَّة وتضلُّعَهُم في علوم اللغة العربيَّة، فقد توجَّهَتْ كلُّ عنايتِهِم وجهودِهم لتَنْصَبَّ في فَلَكِ النَّصِّ القرآنيِّ؛ مُجْتَهِدَةً في سَبْرِ أساليبِهِ وبيانِ دلالاتِ تراكيبِهِ؛ مُعْتَمِدَةً نَهْجَ العلماءِ المُحَقِّقِيْن؛ مِن الإحاطة بالضوابط المُعْتَمَدَةِ في كلِّ فَنٍّ.

إضاءات في مخطوطة شيخ الإسلام مصطفى ميرزا على حاشية العصام الإسفراييني

«الفوائد المكيَّة والفتوحات الحجازيَّة»

تذخر المكتبة العثمانيَّة بنفائس المخطوطات والمؤلَّفات التي تتثاقل في طريقها لرؤية النُّور؛ لأنَّ معظم ما نشر منها-على قلَّته -إنَّما كان بجهودٍ فرديَّةٍ أو لمستلزمات البحوث الأكاديميَّة، وفي هذه الإضاءة على حاشية شيخ الإسلام مصطفى ميرزا على حاشية العصام بيانٌ لأهميَّة علماء تلك المرحلة ودورهم في الحفاظ على حيويَّة تراث من سبقهم؛ وتهذيبه من العوالق والعوائق، وإنصافٌ لتلك المرحلة من وصْمة الركود العلميِّ التي وسمها بها الأعداء حتى انطلت على الأصدقاء، ففي الحواشي التي كُتبت شروحاتٌ وإجاباتٌ وجهودٌ ساهمت في جعل هذا التراث التليد دائم التجدُّد والنهوض رغم التحدِّيات والصعاب، وكيف لا يكون ذلك وكتاب الله المنزَّل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم هو محور جدِّها واجتهادها ودرسها ودراستها.

الحواشي:

هي إيضاحٌ لبعض عبارات الشروح ومسائلها يُظهر ما في عباراتها من غموضٍ، أو يكمِّل ما فيها من نقصٍ في الحقائق والشروط التي لم يستوفها الشرح. وقد ظهر هذا النظام في القرن العاشر الهجري، أو بمعنىً آخر؛ هي إيضاحاتٌ مطوَّلةٌ دعَتْ إليها ظاهرة انتشار المتون والشروح، وقد قُصِد منها حلُّ ما يُستغلق من الشرح، وتيسيرُ ما يصعبُ فيه، واستدراك ما يفوته، والتنبيه على الخطأ، والإضافة النافعة، وزيادة الأمثلة والشواهد. ومن الحقِّ أنْ نقول إنَّ الدراسات القرآنيَّة في عصر المماليك والعثمانيين قد طرأ عليها عهدٌ جديدٌ تميَّز النشاطُ فيه بالحواشي والتقريرات والمختصرات التي يشكِّلُ جلُّها فائدةً طيبةً.

ومنشأُ الحواشي هو أنَّ نظامَ التعليم كانَ أساسُه تدريسَ كتابٍ أو إقراءه على حدِّ تعبيرهم، فكان المدرسُ يعالجُ المباحثَ التي يتضمَّنُها المتْنُ والشرحُ، فإذا صادفَ غموضاً أو قصوراً أو نقصاً كتبَ على حاشيةِ الكتابِ ما يُعالج به ذلك، ثُمَّ يَجيءُ من ينشرون الكتاب فيطبعونَه مع الشرح، وأحياناً يجعلون الشرحَ على هامشِ الكتابِ؛ والحاشيةَ في الصُّلبِ، وأحياناً يكونُ العكسُ؛ وذلك حسب ما يقتضيهِ النظامُ الوضعيُّ في إخراجِ الكتاب.

وهذا النظام له فائدةُ التدرُّج في التحصيلِ العلميِّ، فالمبتدئُ يقنَعُ بدراسةِ المتْنِ ويتفهَّمُ ما يتضمَّنُهُ مِنْ حقائقَ موجَزةٍ ثُمَّ ينتقلُ إلى الشرحِ، وهذا أوسعُ، ثُمَّ يَرقى إلى الحاشيةِ ليستوفيَ ما فيها.

وينبغي ألاَّ يغيبَ عنْ ذهْنِ القارئ الكريمِ أنَّ هذا الأُسلوبَ في التأليفِ يشكِّلُ جُزءاً كبيراً مِنْ تُراثِ الأُمَّةِ الذي لا يستغني عنهُ الدارسُ مهْما علاَ كعبُهُ في العلومِ والمعارفِ، فكُلُّ حاشيةٍ تُمثِّلُ نافذةً مِنْ نوافذِ البحثِ العلميِّ ومنارةً تحملُ إضاءةً جديدةً، ويظهرُ مِنْ خلالِ النظرِ في الحواشي أنَّ معظمَ أصحابِها هُمْ مِنْ علماءِ الدولةِ العثمانيةِ ولعلَّها كانتْ منهجاً دَرْسيَّاً عندهُم، فكانَ بعضُ مَنْ يُدرِّسُها يُدوِّنُ حاشيةً عليها. وقد يعابُ هذا النظامُ بصعوبةِ المتْنِ المختزَلةِ ألفاظُه، وبضياعِ وقتِ الطالبِ في فكِّ ألفاظِ المتْنِ ثُمَّ في مراجعةِ الحواشي والشروحِ لإظهارِ مقصودِ المؤلِّفِ صاحبِ المتنِ، وإنْ كانتْ معالجةُ القضايا والعباراتِ والنقاشاتِ لها فائدةٌ عُظمى في شحْذِ وتكوينِ ملَكَةِ الفهمِ وتنميتها مِن خلالِ المِرانِ على حلِّ المُعضلاتِ اللفظيَّةِ وعلى الجَدَلِ العلميِّ المُثْمِرِ.

البيضاوي:

هو الإمامُ القاضي أبو سعيدٍ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ عليٍّ البيضاوي (ت692 هـ) صاحبُ كتابِ (أنوارِ التنزيلِ وأسْرارُ التأْويلِ) ذلك النبعُ الفيَّاضُ الذي أثارَ حولهُ نشاطاً علميَّاً هائلاً، واكتسبَ مكانةً رفيعةً منذُ ظهورهِ حتَّى وقتنا الحاضرِ، وانتشرَ بينَ المسلمينَ شرقاً وغرباً، ولا يزالُ مَثارَ اهتمامِ المفسِّرينَ واللغويِّينَ على حَدٍ سواءٍ.

وبسببِ هذه المنزلة التي تبوَّأَها تناولهُ العلماءُ بالتحشية التي تجاوزَ مجمَلُها الثلاثمائة، ولذلك عظُمَ صيْتُ الكتابِ، وطارَ ذكرُه وأقبلَ الناسُ عليهِ إذْ وجدوا فيهِ الضالةَ المنشودةَ مِن التفسيرِ العلميِّ على الطريقةِ التحليليةِ اللفظيَّةِ التي عظُمتْ بها مِنْ قبلُ شهرةُ تفسيرِ الكشَّافِ، لا سيَّما أنَّ البيضاوي قد مشى مع تفسيرِ الكشَّافِ فيما يُحبُّ الناسُ منهُ، وخلَّصهُ أو كادَ ممَّا ينفِّرُهم منه.

ولأنَّ وفاء الدارسين للبيضاوي قد أحوجهم الكشفُ عن مرامي عبارته إلى الوقوف على كلام صاحب الكشَّاف وتتبُّعه، فأصبحت دراسة البيضاوي دراسةً للكشَّاف بواسطة. وبذلك لم تتوافر حواشي الكشَّاف إلاَّ في القرن الثامن وما بعده، ولم تبزغ غالباً إلاَّ من الآفاق العلميَّة التي استنارت بالبيضاوي وتأليفه، بحيثُ أصبحت الأنظارُ متجاذبةً والبحوثُ متبادَلةً باطِّرادٍ بينَ حواشي الكشَّاف وحواشي البيضاوي كأنَّ محرِّريها مجتمعون في مجلسٍ واحدٍ على نحو ما يرى في حواشي العصام وسعدي على البيضاوي مع حواشي السعد التفتازاني والسيِّد الجرجاني على الكشَّاف.

والحركة العلميَّة حول هذه الكتاب أصَّلت منزلته حتى أصبح تدريسه مبلغَ الهمَمِ العاليةِ وميزان الملكاتِ والمواهب، فوضِع في أعلى الهيكل الهرميِّ لموادِّ التخرُّج في العلوم الإسلامية، وعمَّتْ منزلتُه أقطار الإسلام، وأصبح ملتَزَمَ التدريس من أقاصي الهند إلى المغرب الأقصى، وازداد زينةً بالحاشيتين الشهيرتين اللتين كُتبتا عليه؛ حاشيةِ عبد الحكيم السيالكوتي من بلاد البُنجاب في الهند، وحاشية الشِّهابِ الخفاجي (ت1096)[1].

العصام:

عصامُ الدينِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عربشاه الإسفَراييني، إحدى قرى خراسانَ فهو من علماءِ خرسان وما وراء النهر من ذُرِّية أبي إسحاق الإسفراييني كان أبوه قاضياً وجدُّه في أيَّام أولاد تيمور، وهو من بيتِ علْمٍ نشأ في طلبِ العلم فحصَّلَ وبرَع وفاقَ أقرانَه، وصار مشاراً إليه بالبنان، وكان بحراً في العلوم، فقد تميَّز عصام الدين بتنوُّع ثقافته وسعة اطِّلاعه في علوم شتَّى، وهذا ما ظهر جليّاً في حاشيته على تفسير البيضاوي، فقد تناول في أثناء شرحه مسائلَ متعلِّقةً بمختلف العلوم الشرعية، فتكلَّم عن قضايا متعلِّقةٍ بعلم البلاغة وأُخرى متعلِّقةٍ بعلميِّ النحو والصرف، وبعلم العقيدة وبعلم الفقه وبعلم التاريخ وغيره من العلوم، كانت له آراؤه الخاصَّة في البلاغة والمنطق والنحو والكلام ، أمَّا في التفسير فإنَّ له آراءَ خالف فيها البيضاويَّ والزمخشريَّ؛ يعينه في ذلك عقلُه الخصيب وثقافته المتنوِّعة وحسُّه المرهف مع فصاحته وبلاغته وجرأته في اقتحام المعضلات، فهو يعترض على البيضاويِّ في بعض الأقوال فيقول: والأظهر، أو يقول: لو فسَّره بكذا، أو الأوجَه، أو ليس بقويٍّ. وقد أجمل ابن العماد الحنبلي ما تقدَّم من جوانب ثقافة العصام بقوله: "كان بحراً في العلوم وله التصانيف الحسنة النافعة في كلِّ فنٍّ"[2]. وحاشيته "مشحونةٌ بالتصرُّفات اللائقةِ والتحقيقاتِ الفائقة"[3]؛ من أوَّل القرآن إلى آخر سورة الأعراف، ومن سورة النَّبأ إلى آخر القرآن؛ أهداها إلى السلطان سليمان خان(القانوني) وكانت وفاته سنة (951 هـ) وقيل (954 ه).

وقد اتَّخذتْ حاشيتُه مكانةً كبيرةً بين حواشي تفسيرِ البيضاوي؛ فقامَ بالتعليقِ عليها العديدُ مِن الشارحينَ نذكرُ منهم: محمد بن محمد البلشهري ومحمد ملا جلبي الكردي ومحمد بن حسين الكواكبي الحنفي الحلبي (1096) وعبد الباقي بن عبد الرحيم بن حسام الدين الحنفي الرومي(1090).

حاشية شيخ الإسلام:

أمَّا الكتابُ الذي هو موضوعنا المسمَّى بالفوائدِ المكيَّةِ والفتوحاتِ الحجازيةِ على الحاشيةِ العصاميةِ لشيخِ الإسلامِ في الدولة العثمانيةِ مصطفى ميرزا بن عبد الرؤوف بن كنعان المتوفَّى سنة 1135هـ. وقد ألَّف هذه الحاشيةَ في مكَّةَ موحياً بعظمة المكان ومُدلِّلاً بشهرةِ من سبقه إلى التأليفِ في حِمى البيتِ الحرام.

واتَّبع في تصنيفِ حاشيتهِ المنهجَ المتَّبعَ في التآليفِ العلميَّةِ عامَّةً حنيذاك؛ مِن حيثُ الاختصارُ ودقَّةُ التعبيرِ، والتزامُ المصطلحِ العلميِّ، وقد نهجَ منْهجَ المحقِّقينَ في كلِّ مسألةٍ تطرَّقَ لها؛ فنجده يخوضُ في المسائلِ اللغويَّةِ خوْضَ صاحبِ القدمِ الراسخةِ مستعرضاً اشتقاقَ ألفاظِها وأوجه استعمالها، وإذا ما تعرّضَ لمسألةٍ نحويَّةٍ نجدُه يسبرُ أغوارها ويخوضُ غمارها بمنتهى التحقيقِ مبيِّناً شواهدها، ومرجِّحاً ما ثبت ترجيحه من أوجهها فهو يتعمَّدُ الخوضَ العميقَ في المسائلِ النحويَّةِ مع التدرُّجِ الدقيقِ في عرضِها وبيانِ مذاهبِ النُّحاةِ فيها؛ حتَّى يصلَ إلى الدليلِ الذي يعتبره سنداً فيما ذهبَ إليه ورجَّحَه.

[1] ينظر مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، محمد إدريس. المجلد - 29 العدد الثاني - 2013 .
[2] شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي 417/10.
[3] كشف الظنون، حاجي خليفة 190/1.

وعندما يخوض في القراءات تظهر إحاطتُه بها ومعرفتُه بالشاذِّ منها والمختلَفِ فيه، فهو يتناولُ أوجُهَ القراءةِ محاولاً تَنْيها عن الابتعاد عن التوافُق النَّحويِّ؛ ليصلَ إلى تحقيقِ القراءةِ بما يتوافقُ مع وجهٍ مِن أوجُهِ العربيةِ، فهو بارعٌ في توجيه القراءاتِ بما أُوتي من إحاطةٍ وعلمٍ بها وبعلمائها ومؤلَّفاتهم، وضوابطهم المُعتمدة.

تمكُّنه وتضلُّعهُ في علوم شتَّى؛ ولطْف عبارته الذي يظهر في حفاظه على مكانةِ العلماء وتبجيلهم؛ وإنْ كان يذهبُ إلى ترجيحِ ما يخالفُهم بدلَيلٍ قدَّمَهُ أو بنكْتةٍ اكتشفَ وهْنها وضعْفَها.

اتِّباعُه لمَن سبقهُ في صرامةِ موقفِهم من القضايا الاعتزالية وتتبُّعهم الشديدِ لِما حوتْه بعضُ عباراتِ الكشَّاف من غموضٍ أو احتمال.

نقدُه العلميُّ وترجيحُه لا يحولُ دونَه حائلٌ؛ فهو يتناولُ على قدمِ المساواةِ العصامَ والبيضاويَّ ثُمَّ الكشَّافَ وهو أشبهُ بالشِّهابِ الخفاجي في نقده وترجيحه.

موضوعات الكتاب الرئيسيَّة:

الموضوع اللغويُّ: تبرز مقدرتُه ومواهبه من خلال عرضه للكلمات التي تحمل معاني متعدِّدةً في سياقاتٍ مختلفةٍ، وهذا يوحي بعمق معرفته اللغويَّة واطِّلاعه الواسع على معاجم اللغة وأساليب العربية؛ فهو حين يصل إلى كلمة(مِهاداً) من قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً)[4] نجده يورد ما ذهب إليه أبو حيَّان ونظام الدين النيسابوري ثُمَّ يعرض أوجه القراءات الواردة ليرجِّح أنَّ كلمة (المهاد) هي بمعنى الفراش[5]؛ ثُمَّ يتناول هذه الكلمة في سياقها القرآنيِّ مبيِّناً ما تضمَّنته جملتُها من أوجه التشبيه؛ مستعرضاً ما جاء في الكشَّاف حيث يقول: "فحاصل توجيه الكشَّاف أنَّ (مَهْد) في قراءة (مهداً) إمَّا مهْدُ الصبيِّ؛ فيكون المعنى على التشبيه، أو مصدراً مبنيَّاً للفاعل أو المفعول وهو الأقرب، وفي كلا الوجهين مبالغةٌ عقليةٌ، أو بمعنى ذاتِ مهْدٍ، تأمَّل بالإنصاف"[6].

كذلك كلمة (سباتاً) في قوله تعالى:(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ سُبَاتاً)[7]اعترض على ما ذهب إليه بعضُهم من أنَّ لفظة (سُبات) لا يُراد بها المعنى الحقيقي. فقال معترضاً: "وفي عدم إمكان المذكور بحثٌ؛ وفي القاموس من معاني السبات ابتداء النوم في الرأس حتى يغلب إلى القلب، ولِحَمْل السبات في النظم المجيد على هذا المعنى أيضاً احتمال؛ وتوجيه حمْله على هذا المعنى وعلى خفَّة النوم غير خفيٍّ على ذِكْرٍ"[8]. فيتابع مستعرضاً ما جاء في لسان العرب وما ورد في أشعارها بما يعضِّد ما ذهب إليه من استدلالٍ فيقول: "وإمَّا بأنْ استُعير للموت المشبَّه بالنوم، والظاهر أنَّ هذا من التشبيه المقلوب؛ وهو أنْ يجعل الناقص في وجه الشبه مشبَّهاً به؛ قصداً إلى ادِّعاء أنَّه زِيْدَ، أو يقال: كون المشبَّه به أقوى في وجه الشبه"[9].

الموضوع النحوي:

وهو موضوعٌ يحتلُّ الصدارة في حاشية شيخ الإسلام، وقد استفاض وأبدع في تناول هذا الموضوع فتتطرَّق إلى مصطلحاتٍ نحسبها في عصرنا من مفردات علم اللغة الحديث، فهو قد أبرز مفهوم الدِّلالة ربطاً بعلم النحو، وكذلك المعنى النحوي للتراكيب اللغويَّة؛ نحو إيراده مصطلح الاعتناق في التركيب والدِّلالة. حتى إنَّه تطرَّق لقضية لم يُجمع النحاة عليها ألا وهي الاستشهادُ ببعض القراءات وبالحديث النبويِّ الشريف فضلاً عن قبولهم ما وصلهم من أشعار العرب فيقول: "والعجب أنَّهم يُثْبتون الورود بنقلٍ واحدٍ جاءهم من العرب ويقفون في ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه، والظاهر كونهم ناقلين عن النبيِّ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم خصوصاً بعد كونهم ثقةً عدلاً ضابطاً؛ فالحقُّ عندي إذا تعارض الحديث أو القرآن مع الوارد من العرب بترجيح ما ورد فيهما؛ لأنَّ قول الله عزَّ وجلَّ، وكذا

[4] النبأ 6.
[5] الفوائد المكية، 29ب.
[6] الفوائد المكية، 31أ.
[7] النبأ 10.
[8] الفوائد المكية، 32أ.
[9] الفوائد المكية، 23ب.

قول الرسول عليه السلام أولى ما احتُجّ به خصوصاً بعد استقرار أمر الدين، والحال: أنَّ ذكر القراءات الشاذَّة لتصحيح المباني وإثبات اللغة كما بُيِّن في محلِّه"[10].

وفي موضوع التنازع يقول: "وإنَّ التنازع على مذهب الجمهور لا يكون إلاَّ في المعمولِ الواقعِ بعدَ العاملِ، أمَّا في المتوسِّط كما فيما نحن فيه فلا يكون إلاَّ على مذهب أبي عليٍّ الفارسي، وفي المتقدِّم كذلك؛ إلاَّ عند بعضِ المغاربة؛ مستدلاً بقوله تعالى:(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[11]ولا حُجَّةَ له؛ لأنَّ الثاني لم يجئْ حتّى استوفى الأوَّل، ومعمولُ الثاني محذوفٌ لدلالةِ معمولِ الأوَّل عليه؛ كلٌّ معلومٌ لمزاولِ كتبِ النَّحو"[12].

وبعد إيراده قول المُراديِّ في الموضوع نفسه قال: "فإنَّ الناظرين في المقام أوردوا احتمالاتِ الكلام ولم يتعرَّضوا لِمَا لها وما عليها، والظاهر من حالهم الإحالةُ إلى ذهنك الوقَّاد فلا تنسى الفقير المنبِّه في دعاءٍ ينفع يوم الميعاد والله تعالى رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ"[13].

المعنى النحوي: وأصله إنَّما هو الإسناد، وذلك لأنَّه يفيد تعليق الألفاظ بعضها ببعضٍ، وكذلك النِّسبة. فالمعنى العام في التركيب يقوم على معاني المفردات التي تؤلِّف مجموع المعنى، ولكلِّ معنىً إفراديٍّ وظيفتُه في الكلام، وللمعنى العامِّ دلالةٌ تقوم على مجموع الوظائف التي تؤدِّيها المفردات في التراكيب المختلفة بحسب المراد.

لم يتطرَّق لهذا المصطلح بحرفيَّته ولكنَّ معناه كان قائماً وبارزاً في كلِّ مسألةٍ نحويةٍ أثارها أو تعرَّض لها بوجه من الوجوه، فإنَّنا نجدُه يتطرَّق بتفصيلٍ لماهيَّة المفعول لأجله مبيِّناً معناه ؛ شارحاً دقائق ما أفصحت عنه أقلام النحاة المحقِّقين فيقول: "والبيان الإجمالي أنَّ المفعول فيه ولَهُ؛ عند ابن الحاجب: ما فُعِل فيه الفعل، وما فُعِل لأجله الفعل، سواءٌ كانا منصوبين بتقدير (في) أو (اللام) أو (لا) وسواءٌ كان المفعول له فعلَ الفاعل المعلَّل أو لا، وجمهور النُّحاة لا يسمُّونه المفعول فيه وله إلاَّ المنصوب الجامع للشرائط، فإذا لم يكن المفعول له فعلاً لفاعل الفعل المعلَّل لا يسمِّيه النحاة مفعولاً له"[14].

وفي تناوله لدخول حرف الجرِّ على الاستفهام يدلِّل على عمق غوصه في معاني النحو فيقول: "ولذا جاز تقديمه على كلمة الاستفهام المقتضي بصدر الكلام، ثُمَّ الظاهر أنَّ وجه الاعتناق تركيبهما بحيث صارا ككلمةٍ واحدةٍ في كون معناهما أمراً واحداً هو المستفهَم عنه، ومعاني الحروف الجارَّة من الاستعانة والمصاحبة والعلَّة وغير ذلك غيرُ مرادٍ أو بقيَ متخفِّياً، مثلاً إذا قلت: بِمَ اشتريتَ؟ فقد استفهمت عن الثمن، وإنْ كان فيه اعتبار تحصيل المبيع به؛ فهو غير مرادٍ أو مخْتَفٍ، وإذا قلت: لِمَ ضربتَ؟ فقد استفهمت عن التأديب أو الإبانة مثلاً، وكذا في سائر مواردها، فاعتنقا في الدِّلالة على المعنى الواحد الذي هو / المستفهَم عنه؛ بحيث لا يستقلُّ واحدٌ منهما في الدِّلالة على هذا المستفهَم عنه؛ بل الدِّلالة لكليهما معاً، وهذا معنى الاعتناق في الدِّلالة"[15].

وكذلك بيَّنَ المعنى النحوي لاسم الفاعل عندما تكون إضافته محضةٌ فقال: "قوله كما حُقِّق في محلِّه؛ أقول: بهذا وفَّق بين قول أبي حيَّان في (الغافر) في قوله تعالى:(تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ)[16]حيث قال: وإنَّما جعل (غافر) و(قابل) صفتين وإنْ كانا اسمي فاعلٍ لأنَّه فُهِم من ذلك أنَّه لا يُراد بهما التجديد ولا التقييد بزمان؛ بل أراد بهما الاستمرار والثبوت، فإضافتهما إضافةٌ محْضةٌ فتعرَّف"[17].

الترجيح النحوي:

[10] الفوائد المكية، 7أ.
[11] التوبة، 128.
[12] الفوائد المكية، 60أ.
[13] الفوائد المكية، 60أ.
[14] الفوائد المكية، 34أ.
[15] الفوائد المكية، 8ب /9أ.
[16] غافر،1-2.
[17] الفوائد المكية، 130أ.

في ترجيحه النَّحْويِّ لا نقول إنَّه يستعرض ما ذهب إليه النُّحاةُ ثُمَّ يميل إلى رأي أحدهم ويصطفيه، بل هو يستعرض ما ذهب إليه النحاة ثُمَّ يُدْلي بدلوه على طريقة النُّحاة المحقِّقين ليصل في نهاية المطاف إلى إثبات صوابيَّة ما ذهب إليه مَنْ استحقَّ أن ينالَ رأيُه الترجيحَ.

ففي مسألة البدل الوارد الكلامُ عنها في أوَّل سورة النَّبأ يقول: "وأمَّا قول المصنِّف هو تفخيم شأن ما يتساءلون عنه، وقوله كانوا يتساءلون عن البعث؛ فالأمر فيه سهلٌ، فإنَّ العرفَ أنْ يقال: يُسأل عن زيدٍ والمسؤول عنه علمُه أو صلاحُه أو صحتُه أو مرضُه وغير ذلك من أحواله، وهو الغالب أيضاً في عرْف القرآن، قال تعالى:(وَيسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ)[18](وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ)[19](وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ)[20]وغيرها. فذْلكة الكلام أنَّ في كلام المصنِّف سبق الشأن وذو الشأن.

وقوله تعالى:(عن النَّبأ العظيم)[21]يصحُّ بياناً لهما، لكنَّ الراجح بل المتعيَّنَ في الواقع كونه بياناً للشأن، ثُمَّ ليعلم أنَّه أضاف التفخيم أولاً إلى الشأن ثُمَّ إلى ذي الشأن في قوله؛ كأنَّه لفخامته لأنَّ الضمير راجعٌ إلى المتساءل عنه، وارتكاب التفكيك ركيكٌ"[22].

الانتصاف من النحاة فيما بينهم:

ففي هذه الحالة هو في موقع القاضي الذي يفصل بين خلافات متقاضيه؛ فهو قد مارس هذه المهمَّة المهيبة في ظلِّ الدولة العثمانية، لذلك نجده ينتصر لصاحب الأحقيَّة بتجرُّدٍ دون أنْ تكون له مداخلةٌ إلاَّ من قبيل الفصل بين المتخاصمين.

ففي موضوع الوقوف على الهاء ينتصف لصاحب الكشَّاف فيقول: "قوله ـــ أي العصام ـــ كأنَّه استدراكٌ على الكشَّاف. أقول: قال الشاطبي في قصيدته المسمَّاة بحرْز الأماني .../... فكيف يُستدرك على الكشَّاف بل ربما يُستدرك على القاضي لأنَّه نسب إلى القراء العشرة مع وجود هذه القراءة من السبعة المتواترة"[23].

وفي آية (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا) [24] ...قال أبو حيَّان قال الزمخشري: وقرئ (منذر) بالتنوين وهو الأصل، والإضافة تخفيفٌ وكلاهما يصلح للحال والاستقبال، فإذا أُريد الماضي فليس إلاَّ الإضافة، كقولك: هو منذر زيدٍ أمس أهـ.../... قال موضِّح الألفية: إنَّ أصل قولك (ضارب زيدٍ) بالخفض؛ (ضارب زيداً) بالنصب، وهكذا في سائر المواطن؛ ومراد الكشَّاف والمصنِّف هو الأصالة المذكورة في المقام الثاني، وعبارتهما يقربان أنْ تكونا نصَّين في ذلك ... فتعقيب أبي حيَّان للزمخشري في غير محلِّه، والعجبُ من سعدي أفندي أنَّه أخذ تعقيب أبي حيَّان وأسحبه على البيضاوي مع أنَّ كلام البيضاوي تكرَّر موافقةً لما قلنا؛ تدبَّر!"[25].

القراءات القرآنية:

يذهب شيخ الإسلام إلى أنَّ التطرُّق إلى القراءات من الدارسين والطلبة دون درايةٍ بمظانِّ هذا العلم ينطوي على خطورةٍ وانحرافٍ عظيمَين، فلا ينبغي الخوض في هذا العلم من غير درايةٍ بقواعده وضوابطه المعتمدة، فيقول موضِّحاً لصورة الحالة الراهنة في عصره وهو من أكثر المطَّلعين على حقيقة أحوال الناس بحكم المناصب التي تقلَّدها؛ والتي كان أرفعها مرتبةً رتبةُ (شيخ الإسلام)، فضلاً عن علمه وتَجواله في أقطار الدولة العثمانية فيقول: "...كما فعل بعض من ليس له اطِّلاع على كتب القراءات؛ فخبَط خبْط عشواء؛ وإذْ لم يعرف فالسكوت / له أفضل

[18] الكهف، 83.
[19] البقرة، 189.
[20] البقرة، 222.
[21] النبأ، 2.
[22] الفوائد المكية، 18ب.
[23] الفوائد المكية، 20أ/21ب.
[24] النازعات، 45.
[25] الفوائد المكية، 129أ/129ب.

وأولى، خصوصاً في هذا الزمان كأنَّ علم القراءات شيئاً متروكاً؛ بل الموالي والمدرِّسين في الدولة العثمانية أهملوا مدارسة القرآن بالكلِّيَّة؛ وقد كان صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم يدارسه ويكرِّره"[26].

فهو يشير إلى لزوم تخريج القراءة بما يتوافق مع وجه من وجوه العربية، فيقول عن قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ)[27] بالرفع: "وهو قراءة الحرميَّين وأبي عمروٍ، ثُمَّ الإعراب المذكور عقيب القراءات المذكورة سواءٌ كان في التفسير أو في بحث القراءات، تصحيح ذلك الوجه من القراءة وتخريجه على القواعد النَّحوية، وتنزيل على ما يقتضيه القضايا الأدبية، لا أنَّ المراد أنَّ قارئ ذلك الوجه قرأه على أنَّه مبتدأ وخبرٌ أو غير ذلك، لأنَّ قراءتهم ليست مبنيَّةً على وجوهات مخترعةٍ لهم كما مرّ مراراً بل هي سنَّةٌ متّبعةٌ"[28].

الموضوع البلاغي:

كثرت وتعدَّدت مصطلحات البلاغة وموضوعاتها التي تعرَّض لها صاحب الحاشية، فهو متمكِّنٌ من أُسس هذا العلم ودقائقه، ففي قوله تعالى:(كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ)[29]يقول: "قوله: ـــ أي العصام ـــ ولك أنْ تخرِّج الكلام مخرج الالتفات؛ فيستغني عن الحذف. قيل يمكن أنْ يقال الالتفات من الغيبة إلى الخطاب حاصلٌ في الردع بـــ(كلاَّ) فيكون (ستعلمون) على ظاهره، فلا حاجة إلى تقدير (قُلْ لهم ستعلمون)، فتأمَّل فيه أنَّ (كلاَّ) حرف فيه معنى الردع، وليس اسم فعلٍ بمعنى ارتدع، فليكن المعنى: ليس الأمر كما قالوا، وليرتدعوا عمَّا يقولون. فلا يتعيَّن أنْ يكون المعنى (ارتدعوا) حتى يوجد الالتفات فيه، ولعلَّ هذا وجهُ قوله (يمكن)، وفتأمَّل"[30].

ومن براعته وطول باعه في علوم البلاغة ما سطَّره في ختام كلامه المطوَّل عن كلمة (سبات) من قوله تعالى:(وَجَعَلْنَا نَومَكُمْ سُبَاتاً)[31]حيث يقول: "ولا يخفى أنَّه يجوز التشبيه المقلوب مبنيَّاً على تسليم أنَّه أتمُّ في المشبَّه إذا كان بينك وبين مخاطبك نزاعٌ في ذلك وأنت جاريت معه، وإنَّه يصحُّ التشبيه المقلوب في تشبيه التزيين والتشويه والاستطراف لادِّعاء أنَّ الزينة في المشبَّه به أتمُّ، أو القبح أكثر، أو ادِّعاء أنَّ المشبَّه به أندر وأخفى انتهى. ويمكن أنْ يقال أخْذاً من الأخير؛ إن انقطاع الحسِّ والحركة لمَّا كان أبينَ وأظهرَ في النوم لإلْفِنا به ومشاهدتنا له في كلِّ يومٍ وليلةٍ كان وجه الشبه هذا أقوى في النوم. بهذا الاعتبار والقياس جاز في علم البيان والمعاني كما بيَّنت في محلِّه؛ ثُمَّ بجعله استعارةً يحصل الردُّ على الإمام كما بيَّنه بعض الأفاضل؛ فلا تغفل"[32]. وفي موضعٍ آخر يقول: "قوله جعل اليوم المتباعد كالشخص المتباعد...الخ استعارةٌ تمثيليةٌ كما لا يخفى، لكنَّ الظاهر أنْ يقول كالسفينة السائرة المتباعدة التي لا يمكن الوصول إليها ما لم تستقرَّ"[33].

الموضوع الصرفي:

بيانه للتراكيب الصرفية واهتمامه بالمعنى الصرفيِّ وإجادته للسماعيِّ والقياسيِّ لحالات المفردة المستخدمة. مثال ذلك ما أورده عندما يكون الفاعل في موضع الكثرة فإنَّه يُوضع موضع (فعل) لرعاية التشارك فيقول: "قوله ويصح الاستشهاد ولو كان مجيء (تفاعل) بمعنى (فعل) قياساً وأجيب بأن هذا الاستشهاد وإن لم ينفع لكون المجيء سماعياً إلاَّ أنَّه توضيحاً بالتنظير صرَّح بمثل هذا في أوائل سورة التطفيف... وفساده غيرُ محتاجٍ إلى البيان، والجواب الحقُّ ما نقله الشِّهاب الخفاجي/عن سيبويه وأمثاله من مجيئه للواحد أيضاً قياساً مطرداً. قالَ في الشافية بعد بيان مشاركة تفاعل بين اثنين وبمعنى (فعل) نحو: توانيت بمعنى ونيت من الونى وهو الضعف. ويندفع أيضاً بما نقله عن الزمخشري من أنَّ المتكلِّم إذا كان مفرداً تقول دعوته وإذا كان جماعةً تقول تداعينا، ونظيره رميته وترامياه، ورأيت الهلال وتراءياه، ولا يكون هذا التفاعل من الجانبين.

---

[26] الفوائد المكية، 89ب/90أ.
[27] النبأ، 37.
[28] الفوائد المكية، 91أ.
[29] النبأ، 4.
[30] الفوائد المكية، 27أ.
[31] النبأ، 9.
[32] الفوائد المكية، 34أ.
[33] الفوائد المكية، 126أ.

وبيان سرِّه هو أنَّ الفاعل إذا كان فيه كثرةٌ يوضع (تفاعل) موضع (فعل) لوجود رعاية التشارك بقدر الإمكان، وبيان الاندفاع أنَّ ما فيه بسبب وجود الكثرة في الفاعل يدخل تحت القاعدة المشار إليها في بيان السرِّ"[34]

وتناول أيضاً جمع الكثرة والقلَّة وما يعتريهما في الكلام الفصيح، وأنَّه ليس دائماً أنَّ القلَّة هي ما دون العشرة وأنَّ الكثرة ضدُّها فنجده يقول: " والمسألة مذكورةٌ في شرح الكافية للرضيِّ ...قال في التسهيل: وربَّما استغني بما لأحدهما عمَّا للآخر وضعاً أو استعمالاً اتِّكالاً على القرينة"[35]. وبعد الاستطراد في عرض المسألة يختتمها بقوله: "وإذا نظرت إلى التقرير المتقدِّم خرج الجواب سديداً، فإنَّا نمنع كون جمع الكثرة للثلاثة مجازاً بل هو لكلٍّ من الثلاثة والأربعة إلى ما لا نهاية له؛ حقيقةٌ كما عرفت..."[36].

انتقاداته: صاحب كتاب الفوائد المكيَّة والفتوحات الحجازيَّة لم يكن ليخوض هذا المضمار لولا أنَّه امتلك وتمرَّس في سائر علوم القرآن والشريعة الإسلامية واللغة العربية فهو ينتهج نهج المحقِّقين ويجيد إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، فهو ينتقد المحشيَّ ويعتبره قصير الباع في علوم القرآن فيقول في معرض تناوله الوقوف على الهاء: "وإنَّما أطنبنا الكلام بالنقول من هذه الأعلام لنحيط بأطراف الكلام ونعلم وتعلم ما في كلام المحشيِّ من وجوه النقص والإبرام كلُّها فيما نظنُّ لعدم حظِّه من علم القرآن الذي هو من أقوى فرض الكفايات"[37].

وفي تعقيبه على المحشيِّ حول إنكارهم الذي سبب لهم الحرمان الأبديَّ يقول: "...لأنّ مدار سؤاله مشتركٌ فما هو جوابٌ عن هذا فنظيره جوابٌ عن ذلك فلعلَّه لم يظفر بذلك النظر، فالفاضل السعديُّ في هذا الباب عديم النظر وإنْ سبقه صاحب التفسير الكبير ثُمَّ التكلُّم في أمثاله وإنْ كان من قبيل التكلُّم في الحكمة لكنَّ الحقَّ عندي الإمساك عنه"[38].

ونجده ينتقد أبا حيَّان لقوله بعد نقله لكلام الزمخشري " وما ذكره (من أن الأصل عدم الإضافة) قول سبقه به غيره "[39].

[34] الفوائد المكية، 16أ/16ب.
[35] الفوائد المكية، 64ب.
[36] الفوائد المكية، 65ب.
[37] الفوائد المكية، 21أ.
[38] الفوائد المكية، 72ب.
[39] الفوائد المكية، 129أ .